

سلا بين حدثين: من النّفاح إلى الاجتياح قراءة في كتاب سلا "المدينة المقفلة" الانفتاح الحذر
على الغرب من القصف إلى الاحتلال (1851-1912)
للمؤرخ عز المغرب معينو.



د. أنس الصنهاجي

أستاذ باحث، جامعة ابن طفيل
القنيطرة.

الملخص:

حاول الباحث مقارنة فترة مفصلية من فترات تاريخ سلا المعاصر بخلفية وطنية، توخت استقراء مقطع القرن 19 وبداية القرن العشرين بالمغرب في مختلف مظهراته ورهاناته وتعاييره من خلال وثائق مخزنية وقرائن جديدة، نشدت الإسهام في بناء تاريخ محلي خالص من المؤثرات الأيديولوجية، ونقد الادعاءات الأوروبية التي وصمت السلويين بالنهب والتعصب، مرافعة منطقية أو هكذا تبدو، كشفت في معرضها أحداثا مستطرفة ظلت في عداد المغمور، حتى بعثها الباحث من عتيرها وملاً بها الفراغ الذي ما انفك يعتري الكثير من محطات الفترة المدروسة، مشكلة بذلك وجهة نظر الأنا إزاء وجهة نظر الكولونيالي في بعض القضايا التي همت المدينة إبان الفترة المدروسة، ومستندا هاما لفهم أنماط الثابت ومحفزات المتغير، والأنساق المتداخلة في ضبط العلاقات الاجتماعية السائدة داخل المدينة، إن على مستوى الإنتاج والتبادل، أو على مستوى العلاقة بالسلطة والمؤسسة الدينية والحمايات القنصلية.

الكلمات المفتاحية : سلا ، وثائق مخزنية، تاريخ محلي، العلاقات الاجتماعية ، والمؤسسة الدينية والحمايات القنصلية

تاريخ النشر: 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

Abstract

By adopting A national background approach, the researcher tried to compare an articulated period of Sale contemporary history. The approach intended to extrapolate the 19 th century and the beginning of the twentieth century in its various manifestations and expressions through the authority documents and new clues, which contribute in building a local history free from any ideological effects. Such documents also aim to criticize the European claim that Salé inhabitants are known by both plundering and fanaticism. In fact, the approach revealed historical events that remained uncovered until the researcher sent them from their stumbling blocks and filled the void that characterized the historical period under study thus forming the self's view versus the colonialist's point of view on some issues that concerned the city during the studied period. Importantly, the approach helps in understanding the constant patterns, the variable motivations, and the overlapping paradigms, which control the prevailing social relations within the city: whether at the level of production and exchange, or at the level of the relationships with the authority, the religious institution and the consular protections.

Keywords :

various manifestations , through the authority documents , new clues, Salé inhabitants, constant patterns.

تاريخ الارسال: 2021/01/08

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ النشر: 2021/01/21

مقدمة :

راكم التاريخ المونوغرافي خلال العقود الأخيرة في المغرب مساهمات جديدة، توسمت إرساء معرفة تاريخية بمناهج ومقاربات منفتحة، تستدعي الحدث لكشف البنية وفهم طياتها، عبر ضبط العلاقة السببية للنازلة التاريخية وملابسها، وأشكال الهياكل المؤسسة للبناء الاجتماعي ومحدداتها، في تساوق يجمع بين صرامة التوثيق وعمق الاستشكال ومنطق التأويل كأفق إجرائي لتفسير التاريخ تفسيراً إشكالياً.

والحق أن الأبحاث ذات الطبيعة المونوغرافية، قصّت شريطاً جديداً منذ سبعينيات القرن المنصرم في مجال الهيستوغرافيا المغربية، إذ أوجدت موطئاً لها من باب أنها مدخل من مداخل بناء التاريخ الاجتماعي الشامل، وحلقة من الحلقات الإستراتيجية المحددة في كتابة التاريخ العام، فالتجربة على علاقتها أسهمت بنزراً في تطوير آليات المناولة التاريخية وموضوعاتها الإشكالية، بمنهج تفرّس دراسة البنيات من نافذة الأحداث، ومقاربة التاريخ السياسي من منظور سوسيولوجي وأنتروبولوجي، بما يفيد إعادة تركيب حقبة تاريخية تستجلي المنطق الداخلي المتحكم في تطور ظروفها العامة.

إن التاريخ المحلي أو المبحثة عموماً تنسجم في مقاربتها المنهجية مع مدرسة الميكروتاريخ الألمانية وصنوتها الإيطالية، حيث اعتبرته الأولى نطاقاً مثالياً لفهم التاريخ، في الوقت الذي عدّته الثانية عمق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، كما يتقاطع مفهوم المبحثة مع الطرح العام للتاريخ الجديد المرتبط بتصور مدرسة الحوليات للكتابة التاريخية، دون أن تتكرر لرببيتها الوضعية في التركيز على الوقائع وتحقيقها، وحبو الوثيقة الرسمية وإيلائها الصدارة في بناء المعرفة التاريخية، هذا المرام الجديد أسهم في تبوؤ التاريخ الاجتماعي حظوته المرجوة، فغذت المبحثة في دائرة اشتغاله رهانا معتمداً للإسفار والنش في المستور واستنطاق ودمج المهمل والمغمور، قصد ملء البياضات التي تعتور الواقعة التاريخية، أملاً في إعادة بناء مشهدها العام وتركيب حلقاتها المفقودة وترتيبها على الوجه الصادر عليه، لاستقرارها في صورتها الكاملة، فالغائية المصبوة لتحقيق هذا المبتغى اقتضت التوسل بالمبحثة الإجمالية الملمة في دراستها للأحداث والمفسرة لها، والمستوعبة لطبيعة البنيات ومسارات تبلورها وتحولها، واعتمادها لبنة من لبنات بناء التاريخ الشمولي، فالإطار الميكروتاريخي ضروري لتحديد

تاريخ الارسال: 2021/01/08

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ النشر: 2021/01/21

الظواهر الماكرو تاريخية¹، و "بدون مفهوم المبحثة - كما أفاد عبد الله العروي- لا يمكن أن يستقيم لا منطقيا ولا علميا مشروع التاريخ الشمولي"².

فنجاح المقاربة مبدئيا يقوم على التحري عن المروي واللامادي بكيفية منظمة، والاستثمار الكثيث والمتنوع للخامة الوثائقية المكونة في قَماطِر المكتبات وأرشيفات المجال المدروس، توسمّا في صياغة مونوغرافيات تتجاوز التعميمات التي تضلّ فيها الدراسات التاريخية العامة، وتكشف عن الوجه الخفي للواقعة التاريخية، وتعري مواتن الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتغيّراتها، من داخل بناء فكري منهجي يقوم على النقد والمساءلة دون اتهام أو تبرئة، ما يسمح أكثر بمناولة موضوعات تاريخية منفرجة على العلوم الاجتماعية ومناهجها، بما يسوّّل النفاذ إلى قرار الممارسات الثقافية، والطبائع والسلوكات الاجتماعية الواعية واللاواعية، ويهوّن استغوار مخايلها السيكلولوجية ودلالاتها الرمزية والحسية. فالواقعة التاريخية كما يبدو تستوعب بمنطق أعمق من خلال سبر التكلسات الفكرية المستبدة بالمخيال الجمعي منذ زمن.

ويعد كتاب سلا "المدينة المقفلة" الانفتاح الحذر على الغرب من القصص إلى الاحتلال 1851 - 1912 للباحث عز المغرب معينو أنموذحا فصيحاً عن تطور التاريخ المونوغرافي في المغرب.

هذا الكتاب المنضّد في 326 صفحة أصله أطروحة دكتوراه ناقشها الباحث سنة 2004

برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، صدر سنة 2017 في حلة قشبية متوسطة الحجم، تتألف طياته من سبعة فصول، تنتظم في ثلاثة أبواب عدا مقدمة وخاتمة ولائحة ببليوغرافية مسهبة. وتجوب بنا ثانيا هذه الفصول الممتدة زمنيا ما بين 1851 و1912 على إيقاع يتقاطع فيه السرد بالتفكير غَمَرَة وصف وتحليل البناء الاقتصادي والسوسيو ثقافي لسلا ومحيطها الجغرافي، واستغوار تاريخ المدينة في مختلف تمظهراتها وإشكالاتها ورهاناتها، واستقراء ظروف انفتاحها القسري على أوروبا الرأسمالية خلال القرن 19، مداخل وفذلكات أعانت على ضبط جذور الاتصال ومعالم الانفصال وجس آثاره على المجتمع السلوي، عبر تتبع حنايا الأحداث واستثمارها في اكتناه محددات التحول وحدود انسحابه على البنى والتمثلات.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

فالباپ الأول استهله الباط بعرض ببيلوغرافي انتقائي مفعم بالتنوع، اآترحه بالنقص والقصور في تغطية مجمل محطات ومعتركات المقطع المدروس، منوها بخلفيات الصورة التي رسمها الأنا والآخر عن المدينة ومكوناتها، وما عكسته مركزية التمثلات الذهنية من أحكام. وفي الباب ذاته استحضر في خضم اقتفاء مسارات الثابت والمتغير في النسق البنيوي للمدينة، عمقها التاريخي والإستراتيجي وخصائص مشهدها الجغرافي والبيئي وتأثيره الاقتصادي، وما يربط نسيجها الاجتماعي من علائق وما يميز بنيتها الداخلي والخارجي، وكيف فقدت المدينة حظوتها الاقتصادية ووظيفتها الجهادية ومكانتها الإستراتيجية، وكيف استمرت رواسب العهد الغابر، وكيف حافظت على نبضها، وكيف ظلت حية في مسام المجتمع السلوي، بينما عالج الباحث في الباب الثاني موجبات التآلف بين سلا ومحيطها، وبواعث التحالف بين أعيانها وجيرانها، مبرزاً في سياق تحليله للأحداث أهمية الشبكة الزبونية والتحالفات المخزنية والأجنبية في الحفاظ على امتيازات النخبة اقتصادياً واعتبارياً، ومركزية الثقافة الدينية في صيانة الهوية، وبعث المواقف والمعتقدات الأخلاقية المنتجة لروح التعاون والتكافل واللحمة المجتمعية، ولم يغفل الباحث إشراك فئة اليهود والعبيد وتقديمهما كنموذجين للمكون السلوي المهمش والمنبوذ، وبسطهما كمدخل لفهم المجتمع وتناقضاته، وكشف مغابنه. أما الباب الثالث فقد قارب فيه الباحث التصورات الإجرائية للمشروعات الإصلاحية التي تقدمت بها "الانتلجنسيا" السلوية كأفق للخروج من الكبوة الحضارية، مثيراً في السياق ذاته موقف هذه النخبة وغيرها من صراع الأخوين (المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ) والجارين الغريمين (ألمانيا وفرنسا) على السلطة والنفوذ، وملابسات صدمة الاحتلال وانعكاسها على صيرورة التمثل الذي بات أكثر واقعية في تقييمه للذات والآخر من ذي قبل.

إشكالية الدراسة

فكك الباحث من خلال الإشكالية المركزية، مكونات الطية الاجتماعية للمدينة وخصائص بنيتها العامة، وطبيعة التفاعلات الميكانيكية الجارية في عمقها وآليات اشتغالها إن على مستوى التخييل الرمزي أو على مستوى تدبير السلطة، إنها إشكالية ترفض تصوير أهل المدينة في شخصية "إكزنوفوبية" (كره الأجنبي)، لكنها تستحضر بلهجة تبريرية الجذور التاريخية والمركبات النفسية المقوّنة للحس الاجتماعي (التوجس والحذر) إزاء الآخر، ومغذيات استوائه على البنية الذهنية والسلوكية، وسياق إحلاله في المسبقات التمثيلية، عبر ربط الغائر بالحاضر، واستدعاء المحددات المؤثرة في نواة

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

التمثيلات المركزية السائدة حيال الذات والآخر، جراء صدمة الحداثة والاحتلال، وجسرها بإرغامات التكيف القهري مع الظروف الطبيعية والأوضاع السياسية المستطرفة، التي صيرت سلا من مدينة بحرية إلى مدينة داخلية بعد توقف الجهاد البحري وتجريمه دوليا ومخزنيا.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة -على الأقل- في تغطيتها لفترة مفصلية من تاريخ المدينة (ما بين 1851 و1912)، ومقاربتها لقضايا طارفة بوثائق جديدة، كان للمؤرخ قصب السبق في افتضاض بكارها وفك طلاسمها وتحليل مضامينها، وبسطها للقارئ في صيغتها العلمية من قبيل: أزمة الماء وانعكاساتها على الاستقرار الداخلي والعلاقة مع المحيط القروي.

فهاجس إنجاز دراسة مونوغرافية بقرائن متعددة، قرّ في منهج المؤرخ مشدودا لمنطق الجرح والتعديل في التعامل مع حصائل ومكونات الكتابة والذاكرة التاريخية الخاصة بسلا، دأب انفلت من خطاب المصادر والتفسير الرمظقي ليمارس فعل النقد المنطقي، وقد حشد المؤرخ لهذا المنجز ثرا بيليوغرافيا وازنا يثني ذخائر من المخطوطات والمنشورات المبنوثة طي الخزانات والأرشفات، سواء تلك المبذولة في خزانات الرباط أو تلك المبنوثة على قماطر وزارة الخارجية الفرنسية بباريس، هذا علاوة على ما تكتنزه الخزنة العلمية الصبيحية بسلا من وثائق دفيئة غاية في الأهمية. متقلدا لهذه المهمة عدة منهجية تألّت في التفسير والمساءلة دون أن تنأى عن الاتهام و التبرئة، عبر مطارحات تعالقت فيها الأفكار بالأسئلة، دون أن تشرد عن الاشتراطات الأكاديمية في مناقشة النصوص ومساءلة المصادر والمصنفات. وعلى هذا الأساس ارتكن المؤرخ في هذه الدراسة على باقة من المرتكزات المنهجية لعل أبرزها:

● المبحة

تعد هذه الدراسة من عيار الدراسات المونوغرافية التي جدت في غور فترة صعبة من فترات تاريخ سلا المعاصر، بطرح صارع السقوط في شرك الانفعال الوطني خلال دحض و مقارعة الأحكام والأطاريح الفرنسية، ملتصقا في هذا الغمار منهجا توثيقيا ألبك فيه الذاتي بالموضوعي في التعاطي مع الإشكالية، على دوزنة ألفت بين السرد والتحليل في تفكيك البناء الاجتماعي والثقافي للمدينة

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

ومحيطها الجغرافي، ويبدو أن الباحث يؤمن بمركزية السرد في جمع وترتيب الحدث التاريخي باعتبار دوره المركزي في إيلائه للمعنى قيمة وفهما جديدا، وهذا ما نجد له صدى في كتابات بول ريكور³ وبعض المنتسبين لمدرسة الحوليات من قبيل المؤرخ الفرنسي "إيمانويل لورا لادوري"، فإذا كان بول ريكور اعتبر السرد التاريخي وحدة تصويرية تعتمد آلية التشكيل وليس مجرد متوالية من الأحداث والأفعال⁴. فإن "لورا" أعلن في مناوالاته المونوغرافية مع الجيل الثالث من المنتسبين لمدرسة الحوليات عن عودة السرد والحدث، هذه المراجعة المنهجية التي شارك "لورا" في إرساء تصورهما، لم تتوان عن التوليف بين السرد والتحليل خلال وصف الأحداث و البنيات الاجتماعية والعناصر الثقافية الفاعلة بما فيها الطقوس والعقائد الدينية، ومعالجة السلوك السياسي للأفراد والجماعات باعتباره انعكاسا لسمات ومقومات الذهنية الجمعية⁵.

● تنوع المظان ومصادرها

فرض تنوع المصادر ومشاربها، توظيف المنهج التوثيقي والمنهج الاستقرائي المعينين على فهم نظم المجتمع السلوي و طبيعة التغير البنيوي الكامن وحدوده، تحت توجيه المنهج التاريخي المشتغل على وصف الظاهرة و تحليلها ثم تركيبها، في إطار زمكاني يقتضي التطور الحاصل داخل المجتمع، بغية ضبط محددات القطاعات والاستمرارات في الظاهرة الاقتصادية والوقائع الاجتماعية. مناهج ومقاربات أسعفت في استنطاق مكنونات الوثائق، والقبض على ائتلافاتها واختلافاتها في تمثيل الحدث ورصد ملابساتها، بما يفشي عن طبيعة التحولات التي عاشها المجتمع السلوي إبان الفترة المدروسة، وذلك في سياق انفتاحه الجبري على الغرب وما تمخض عن هذا الإرغام من ارتكاسات اقتصادية وتناقضات اجتماعية حولت المدينة من قطب إلى هامش ومن مدينة بحرية إلى مدينة داخلية.

وضع أسهمت الحماية الفرنسية في دق آخر مسمار في نعش تأثير المدينة ونفوذها الجهوي، إثر خلق سلسلة من النقاط الحضرية على طول الطريق الرابط بين سلا وسهل الغرب، والطريق الجديدة المؤدية إلى فاس عبر زمور، بل تحولت هي نفسها إلى ضاحية تابعة لصنوتها الرباط، بعدما صارت عاصمة للإيالة الشريفة، بعيد إبرام صك الحماية سنة 1912.

قضايا الكتاب

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

أدى ارتفاع منسوب التجارة الخارجية الأوروبية نتيجة الثورتين الصناعيتين، وما صاحبهما من تحولات اقتصادية وسياسية إلى تفتق قوى أوروبية، يعترىها طموح الهيمنة على المجالات والمقدرات وتوسيع دائرة الأسواق والمستعمرات، لترويج الفائض واستثمار الزائد وجني الأرباح والمكاسب، وتأمين الحاجة من الخامات لضمان سير الإنتاج وتطوره، هذه التطلعات المسكونة بهاجس الهيمنة، أسهمت بقوة في خط منحنيات جديدة للحركة التاريخية لمغرب القرن 19. وقد شكل المغرب في حمأة الصراع الجيو إستراتيجي بين القوى الرأسمالية، مجالا للتنافس الامبريالي رجاء إلحاقه بزمرة الممتلكات الاستعمارية والاستقواء بمؤهلاته في معترك التمايز الاقتصادي والعسكري الناشب بينها، وعلى هذا الأساس أخضع المغرب عنوة في طاكتيك إضعاف سلطته، عبر إقحامه في متاهات ملتبسة ومعقدة من الفروض القانونية والاتفاقيات الاقتصادية و السياسية والدبلوماسية، حولته مع تواتر الأحداث إلى سلطة مستلبة عاجزة عن فرض إرادتها وصناعة قراراتها السيادية، تركز في دوامة من الضغوطات والإكراهات الداخلية والخارجية بلا حول لها ولا قوة. واقع شكل لحظة فارقة في صيرورة الوعي السلوي بالبنون الحضاري الذي بات يفصلها عن الآخر، إنها لحظة أحسبها مع الباحث لحظة اكتشاف الذات ومرارة الانكشاف أمام الآخر، بعد أن صار السلويون/ المغاربة ينظرون إلى المخزن بعين الضعيف المستهان، وبات الارتياح يجوس في نفوسهم خيفة من غزو مسيحي منتقم، والمصير الذي يمكن أن يقذف بهم نحو المجهول أيان سقوطهم تحت نير الاحتلال "الكافر".

ولا جرم أن المظهر الكليل والسّمّت البئيل الذي ظهر عليه المخزن وهو متداع في مواجهة التحديات، عاجز عن تدبير الصروف و البلايا التي ألت به في مختلف المحطات، عرى واقعه وكشف أزمة نظامه وقلة حيلته، ومن شواهد فيض المشاهد في هذا السياق، ظهور السلطان المولى عبد العزيز في صورة الخائف المرتبك، الجاهل بحقيقة الأحداث التي تجوس في إيّالته، إثر لقائه بأعيان سلا أثناء زيارة خصها للمدينة لتفقد أحوالها وتهدئة روع سكانها، إذ لم تستهب إحدى الفرقاطات الفرنسية التحرش بسلا وهو بين ظهرائها، فعل أسقط ورقة التوت عن الأمل الذي عقده السلويون على السلطان لردع التهديدات الفرنسية المستفزة، وهذا ما حدا بالباحث إلى توصيف المشهد بالغريق الذي تعلق بغريق، بل حمل وزير الخارجية البريطاني "نيكلسون" على الاعتقاد في تلك الظروف بأن "حالة مولاي عبد العزيز أصبحت ميؤوسا منها، وأن مجيء سلطان منتخب بطريقة ما وبشرط التزامه بإعلان الجهاد ضد النصارى أمر مرجح.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

أولا اقتصاد سلا ما بعد القرصنة: امتدادا لبنية اقتصاد الكفاف

بعدما أدرك المولى سليمان أن الجهاد البحري بات متعذرا زمن التفوق المسيحي، وأن نشاطه صار وبالا على الإيالة، وخطره على بيبضتها صار لا محالة، قام بتفكيك أسطوليه البحري، وإهداء آخر قطعة منه لداي الجزائر، رجاء قطع دابر أي عذر يمكن أن يستغله الامبرياليون لاستباحة البلاد وجرحها للمجهول⁶. وبهذا القرار حرمت سلا رسميا من مداخل جد مهمة كانت تدعم الاستقرار الاقتصادي للمدينة في أحلك الظروف⁷. الأمر الذي اضطرها إلى الاستعاضة بمصادر رزق بديلة ارتكبت بدينامية الاقتصاد الرأسمالي الخارجي، والحاصل أن المخزن ظل عاجزا عن مجاراة إيقاع هذه الدينامية بالشكل المطلوب، لأسباب بنوية ذات طبيعة معقدة، تداخل فيها الديني بالذهني والاقتصادي بالسياسي، وأمام تحدي هذه البنية فرضت بريطانيا على المخزن عنوة اتفاقية 1856، اتفاقية أسهمت في تشبيك اقتصاد الإيالة بالسوق الدولية ونظامها المالي، مقحمة إياها في شبكة الاقتصاد العالمي في إطار نظام التبادل الحر، ويبدو أن من جملة الغايات الإستراتيجية المرجوة من عقد هذه الاتفاقية تكمن في تطوير مستوى الحركة التجارية البينية والرفع من منسوب عائداتها، أملا في تعزيز المداخل المالية للإيالة، بما يروم تعميم تداول السيولة النقدية، وتقوية القدرة الشرائية، لتوسيع عملية الإقبال على البضائع المصنعة واقتنائها بنهم⁸.

في ظل هذا المنعطف التاريخي كان الاقتصاد السلوي يرتكن إلى فلاحية معيشية تقوم على وسائل إنتاج عتيقة، وأساليب عهيدة، تستثمر في مساحات زراعية صغيرة، رهينة بالظروف الطبيعة المجبولة على القلب، فما بين 1800 و1912 اجتاح الجراد المغرب 32 مرة⁹، عدا سنوات الجفاف المتعاقبة، وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا النمط سلبا على حجم المردودية ومستوى الانتاجية¹⁰.

وقد شكل أسلوب الشركة قطب الرحى في علاقة الإنتاج، وفي الوقت الذي ظل فيه المحصول أداة للمقايضة وتبادل الخدمات والمنتجات، أما النقد فلم يكن يتسع اعتماده إلا في أوقات النوائب والقحوط، خاصة حين ترتفع أثمان المنتجات الفلاحية وتغدو أعز ما هو مطلوب، وعلى هذا الأساس كان الاقتصاد القروي هو من يفرض إيقاعه على مؤشرات التبادل وعلى وضعية اقتصاد المدينة، فمنتجات البوادي شكلت أغلب السلع السلوية الموجهة للتصدير¹¹، كما ظل رواج المنتج الحرفي السلوي وانتعاش تداوله التجاري رهينا بالقدرة الشرائية للفلاح في المقام الأول، فنصف الساكنة

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

السلوية على الأقل كانت تكسب قوتها من النشاط الحرفي هذا النشاط الذي انتظم في حنط مهيكلة، وفر على امتداد قرون احتياجات المدينة وباديتها من الأواني الفخارية والزراي والأسلحة والسروج والأقمشة ولوازم منزلية وغيرها بفضل ما أمنتها غابة المعمورة من أصناف الخامات التي لا مندوحة للحرفي عنها لإصدار منتوجه¹² (الخشب والقصب والفحم والعفص والفلين...)، هذه الغابة التي ما انفكت تشكل متنفسا طبيعيا للساكنة، ومجالا للصيد البري والرعي وتربية النحل، ومشتلا للنباتات العطرية والطبية، ومصدرا لبعض الموارد الغذائية مثل ثمار البلوط والفطريات¹³.

وحدير بالذكر أن الاقتصاد السلوي التقليدي، لم يكن يعرف حدودا واضحة بين مجالي الصناعة والتجارة، فقد كان جم من الصناع يسوقون منتجاتهم بمعرفتهم، وحين يطمحون إلى تصريفها خارج أسواق المدينة أو تصديرها نحو الخارج يعهدون بها إلى تجار الجملة أو التجار الأفاقين الذين كانوا يوسقونها صوب بلاد السودان والشرق العربي ولم يكن ذلك يتأتى للصانع السلوي إلا في ظل سنة فلاحية محصولها وفير، أو المكوس فيها مبطولة والخامات مبذولة بأثمان مغرية، تصديرها محظور أو مرتفعة التعريف الجمركية، وقلما تواتت هذه الظروف للصانع والتاجر السلوي، فحتى حين استعاض المخزن عنوة عن نظام الاحتكار التجاري بتحرير المبادلات والتخفيض من الرسوم الجمركية على الصادرات والواردات سنة 1856، كانت الضفة الرباطية هي المستفيد الأكبر من هذا الانفتاح، حيث تفردت على حد تعبير المؤرخ بكل أنشطة المرسى، في الوقت الذي ظلت فيه مرسى سلا خاملة وبئيسة، تضج بالجوعى والمشردين والمعدمين الساعين إلى تأمين لقمة العيش. وقد عزي الباحث هذا الوضع إلى مورفولوجية المرسى السلوية المحفوفة بحواجز طبيعية صعبة، جعلت رسو المراكب بها أمرا مستحيلا، والغرو أن هذا الحاجز أدى دورين متناقضين كما أعرب الباحث: الأول حمى المدينة من الاحتلال الأوروبي، والثاني قضى تدريجيا على كل نشاط بحري داخلها¹⁴.

أما الصيد النهري وعلى رأسه سمك الشابل، فقد ظل موردا لا يقل أهمية عن باقي الموارد الاقتصادية السلوية حينذاك، إذ شكل إيرادا معتبرا للفلاحين وتجار الأسواق، ولأحباس المدينة، وطائفة من السلويين خاصة منهم المنضوين تحت حنطة البحرية، وتكمن أهمية هذا المورد في اعتباره مصدرا غذاء أساسيا، وقوتا يتوسل به في المواسم الفلاحية الجافة كإعانة على تغطية نقص الطعام، وإبان البجوحة والرخاء كان يُيَمَّمُ الفائض منه صوب أسواق مغرب الداخل، ورغم اقتسام أحباس سلا ريع إيراد سمك الشابل مع صنوئها الرباطية منذ سنة 1808م، وارتفاع عدد التنافيد التي تمتعت بعض وجهاء

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

المدينة بأعداد منه بالجان، فقد قرّرت غلته ذات بال، يستعان بها في العناية بالمساجد والعاملين عليها على وجه الخصوص¹⁵.

ثانياً المجتمع السلوي: امتداداً لبنية استاتيكية تقليدية

وفاء بنية المجتمع السلوي لطبيعته التقليدية الموروثة، سحب عليه سمّت المجتمع القطاعي المسفوع بنسق من التمثلات الرمزية المعتدة بفضيلة الشرف والولاية والصالح أكثر من المقومات المادية، لذلك استوى النسيج الاجتماعي أفقياً على ركائز التمايزات الاعتبارية لا عمودياً على منطق الطبقات الاجتماعية، التي من المفترض أن تقود إحداها ناصية مشروع مجتمعي بمضامين جديدة—

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المجتمع السلوي إلى فئتين: خاصة وعامة

1- الخاصة

تطلق على الفئة التي تملك سلطة طبيعية خاصة: مثل الشرف والبركة، أو مكتسبة: مثل العلم والمهارة والزعامة والثروة، ويدخل في زمرتها المخزن والشرفاء والعلماء والتجار الكبار ورؤساء التعاونيات وتأسيساً على هذا المفهوم مثلت النخبة المحلية السلوية بكل قطاعاتها أقلية مؤثرة في تدبير وسائل الإنتاج والإكراه محلياً، مما جعلها فاعلاً في صناعة قرار المدينة. ولعل من أبرز خاصة سلا خلال الفترة المدروسة نذكر:

✓ الشرفاء

فئة استقت حظوتها الاجتماعية من انتسابها لعتره الرسول، ومن الاعتقاد في إرثها لأسرار البركة، هذا الرصيد الاعتباري أضفى عليها هالة من الرمزية وبوأها منزلة القدسية في الأطر الثقافية، فصارت بنية المتخيل الشريف نموذجاً ثقافياً وصنفاً أنطولوجياً متعالياً فوق الناس والطبيعة، تمثل ذلك لها التمتع بامتيازات استثنائية وأداء وظائف سوسيو سياسية خاصة، بيد أن مستويات الامتياز والتميز التي حظيت بها هذه الشريحة، تحكمت في منحنياتها ارتقاءً أو ركوساً معطيات ظرفية، قيست بمدى

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

القرب من الأسرة الحاكمة، وطبيعة الأواصر التي تربطها مع المخزن، وقوة تأثيرها الإيديولوجي على المجال، وينسحب هذا المنطق على الأسر الشريفة التي أثبت المشهد الاجتماعي السلوي، (العلويون والأدارسة والناصريون والطالبيون والتهاميون والقادريون والشرقاويون والكتانيون والجمعيدون والوزانيون والبوعزاويون والعايديون والمريصيون...) والتي أسهمت بحظ في صيانة الهوية الدينية للمدينة ونمطها الاجتماعي المحافظ، فضلا عن منة إصلاح ذات البين فيما شجرَ بين الأفراد والجماعات، أو بين المخزن والقبائل الشاردة عن جادة الطاعة، أو تأمين المستجير اللائذ ببيتها أو حرماها أو المتنقل عبر حمى القرى والقبائل. وظائف وغيرها جعلت الشريف لا يعارض له أمر إن طلب تسريح سجين مذنب مثلا، ولا يفصل في قضيته إلا نقيب أسرته الشريفة. فأغلبهم توفر على ظهائر الاحترام والتوقير¹⁶.

ويبدو أن الصورة التي بثها الباحث ونقيب الشرفاء العلويين يشتكى للسلطان غُبه في أعطية سمك الشابل وحرمانه من هذا الامتياز، يحيل على الوضع المعيش الهش الذي كان يكابده شرفاء سلا بمختلف بيوتاتهم، فباستثناء النقباء والمقدمين (خليفة الشيخ في الزاوية الفرعية) الزوايا الذين كُفّلوا ذل العوز بفضل الهبة المالية والعينية الموصولة من المخزن ومن ريع الأضرحة، ظل شُرّواؤهم يعيشون الخصاصة مع شريحة واسعة من الخواص والعوام.

✓ العلماء

مثل علماء سلا الأنا العليا لمجتمع المدينة ومرجعته الأيديولوجية، إذ ظلوا وحدهم المعنيين بصناعة القوانين وفرض الضوابط الشرعية، والمحولون بتشريع أحكام جديدة تتسق والبنية التليدة كلما استدعت الضرورة، فتمثلهم في المتخيل الجمعي كورثة للأنبياء وامتداد لهم، بوأهم طليعة أهل الحل والعقد، وذلل لهم شغل مناصب سنّية في خطط القضاء والعمالة والحسبة والتدريس والنظارة والسفارة والأمانة والإمامة والخطبة... بل خول لهم إبداء مواقف نقدية معارضة وطرح مشروعات إصلاحية تصحيحية، استُسرّبت بعضها بواعث أزمة المخزن البنيوية وهجت عتاقة نظمه وهياكله التديبيرة، واقترحت المداخل الإجرائية التي من شأنها تجاوز مسببات الكبوة ومواكبة ركب الإيقاع الحضاري المتقدم.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

إن هذا المخزون الرمزي الذي حظي به علماء سلا، شكل عاملاً محدداً في تكوين حنايا البنية الذهنية للجماعة، ومواقفها إزاء الأنا والآخر. كما جعل ذويه محط تقدير واحترام من أعلا سلطة في البلاد، والشاهد على ذلك: الظهير العزيزي الذي أقررَ أمور قضاء سلا على العلامة علي عواد دون غيره، ناهيا عامل المدينة التدخل في شؤونها، بسبب ما كان بينهما من عداوة على حد تأكيد الباحث.

✓ شيوخ الطرق والزوايا

الولاية والصلاح نسق رمزي للتواصل بين المقدس وعالم الفعل الاجتماعي، إذ يُعتقد في جمعه بين الحقيقة (العلم اللدني) والشرعية (علم الشريعة الإسلامية). وقد اعتبر الباحث بيوتات الحجيين والحسنيين وأولاد أعمار المنحدرين من نسل أحمد بن عاشر من أشهر بيوتات الولاية والصلاح السلوية، هذه البيوتات كانت درجة نفوذها تقاس بالثقل المعنوي لشيوخها واتساع رقعة حضورهم في البوادي والحوضر، فالمشروعية الكاريزمية تمتعهم بخصائص فوق طبيعية، وهونت لهم المشاركة كفاعل في تدبير الشأن الديني، والتأثير في معنويات صناعة القرار السياسي، والاستفادة من منافع الدولة كالهدايا، والصلات الشهرية، والكسوة، والمؤونة المحكومة بالمناسبات الموصولة من السلطان في الأعياد والمسرات، عدا إيرادات الأوقاف ومداخل الزوايا والأعطيات، التي تصرف في التعليم والعناية بمرافق الزوايا والقائمين عليها¹⁷.

ومن المعلوم أن نجم ظاهرة الولاية بسلا، سطع بريقه في خضم أفول سلط الدول المتعاقبة على حكم المغرب، وفشلها في مجاهدة الاضطرابات الداخلية والتهديدات الخارجية، والفراغ السياسي الذي تركه المرينيون والسعديون بعد تمزق دولتهم وانشطارها إلى مناطق نفوذ متصارعة، حوّل سلا إلى ثغر تقوده الرموز الصوفية المؤثرة بالنسك والمريدين المرابطين، للذب عن حوزة المدينة وتدبير شؤونها.

تنظيم محلي استعاض به ظرفيا عن مؤسسات الدولة، قصد تفادي المصير المؤسف الذي تجرّعته المدينة سنة 1260م، إثر احتلالها خمسة عشر يوما من قبل القشتاليين الذين راسوا فيها فسادا، وحين اضطروا إلى الرحيل أسروا ما يربو عن ثلاثة آلاف سلوي، انتكاسة وغيرها عززت ارتياب الساكنة من الأجنبي وحملتها مع حلول القرن 17م، على تكثيف سلوك الجهاد البحري، كتبرير شرعي للتنفيس عن مكبوتات العداء المكنون للغازي "الكافر" وإشفاء الغليل مما اقترفت يدها، وتقوية موارد الاقتصاد الاجتماعي للمدينة.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

وهذا ما يحيل على الاستنتاج، أن الدلالة الاجتماعية لظاهرة تبجيل الأولياء كأحد مستويات الإسلام المتعدد، تعزى على وجه الخصوص إلى الوظائف الجهادية والتضامنية التي شغلها الولي/الصالح لفائدة جماعته، وما جالده في سبيل استقلال حوزة بلاده وصون بيضتها، وهذا ما أكده الباحث حين أورد انتصاب بعض المتصوفة ومنهم الفقيه محمد بن طلحة الصباحي على الأبراج، لتقديم يد المساعدة، وتنهيز الهمم والحماسة في صفوف الطبجية والمتطوعين، لمجابهة العدوان الفرنسي الذي تعرضت له سلا سنة 1851، في الوقت الذي تحلق فيه كل من قاضي المدينة علي عواد ومكلاً من أعيان المدينة و عامتها في ضريح سيدي عبد الله بن حسون على تلاوة سلكة الشفاء، وكوكبة من الناصريين على قراءة سيف النصر في زاويتهم، محنة ألجأت الجل الركون إلى زاوية أو ضريح أو مسجد طمعا في رفع الغمة عن طريق التوسل بالشيوخ والأئمة، لدرجة أن جمهورا من السلويين استقرّ في اعتقاد أن أولياء الله هم من أحرقوا ببركتهم أسطول المعتدين ليلا، بعدما وجدوه صباحا أفلا ركزه، منقشعا عن الأنظار، اعتقاد أبان عن الذهنية الممجة للذات الولائية باعتبارها الظل الرباني الذاب عن حوزة المدينة، والدارئ عنها كل شر.

إن المخيال الرمزي في هذا الصدد لم يفتأ ينفخ في جسد الظاهرة الولائية روح التقديس في حياتها، وبمنحها قوة الامتداد والحفاظ على سطوتها بعد وفاتها، فالزوايا كشكل من أشكال هذا الامتداد تقوم على عقيدة البركة والمدارك اللدنية والأسرار الربانية التي يختص بها شيخ الطريقة ويورثها لمن يشاء من مريديه، إنها في المعتقد الجمعي قدرات خفية تكشف له عوالم الغيب والشهادة، وأداة يتعالى بها عن الطبيعة الحسية ومنطق السببية، ضمن نسق متماسك من القيم والمعتقدات¹⁸.

تمثلات واستيهامات صيرت شيوخها مع تواتر الزمن إلى مجيرين للمسافرين، ومصلحين بين المتشاجرين، ومظاهرين لأمير على حساب آخر... وحولت حدود الزوايا إلى حرم يلوذ بها المذنب والمظلوم على حد سواء. وجعلت القضايا الشرعية والجنائية لمريديهم يحرم على غير نقبائهم الفصل فيها.

✓ التجار والنخبة المخزنية المحلية

شكل التجار وأطر المخزن السلويين أحد مضلعات الوجهة الاجتماعية بالمدينة، فهما وجهان لشريحة تكاد تكون واحدة، فهي تركيبة من الأعيان استطاعت فرض نفسها في مربع النخبة على

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

أساس الثروة والخدمة المخزنية، أما ثقل نفوذها فظل يقاس بقوة الشبكة الربونية التي تستند عليها، وحجم تأثيرها وقربها من دوائر صناعة القرار، ومدى براعتها في أداء دورها كهمزة وصل بين المخزن والمجتمع المحلي.

وغالبا ما كانت تنتقل الواجهة الاجتماعية من جيل إلى جيل عن طريق الوراثة، مثل أسرة ابن سعيد التي اشتهرت منذ العهد الوطاسي بتولي القضاء، إذ تسلسل في خطتها العديد من قضاة الأسرة أو واسط القرن 19، علاوة على تقلب بعضهم في مناصب دبلوماسية، وخطط الأمانة والعدالة والعمالة والتجارة. والناظر للسيرة الوظيفية للأسر السلوية الوجيهة يصعب عليه تصنيفها قطاعيا، إذ يجد أنشطتها تتداخل في شبكة من المهام، تعززها شائكة العلاقات الموصولة بالمصاهرة وتقاطع المصالح المشتركة.

وإذا كان موظفو المخزن اقترنت حظوتهم بشرطية السلطة المنعومة، اعتبارا لكفاءتهم المشفوعة بالولاء التام للسلطان مثل أسرة الزنابرة، فإن التجار الكبار انتزعوا هذا المقام بفضل المكاسب المالية التي جنوها من التجارة الخارجية، والتي تعاظمت إثر إقحام اقتصاد الإيالة الشريفة في النظام الرأسمال العالمي، مثل أسرة الحصاصرة.

ولا غرو أن أشهر الأسر السلوية الوجيهة يصعب تصنيفها نظرا لانخراطها في مهام مخزنية، في الوقت الذي كانت تزاوّل فيها نشاط التجارة، وهذا ما أهلها إلى جانب نظيراتها من البيوتات البيولوجية والجماعات الطرقية التحكم في صناعة القرار المحلي، والتأثير في عملية توزيع منافع الدولة وامتيازاتها، وبلورة تصورات المخزن وتدابيره الإجرائية.

2- العامة

مصطلح العامة مفهوم متقلب المضمون والمكونات، يحكمه سياق الزمكانية. ويحيل مفهوم العامة في الفترة المدروسة على الشريحة التي تفتقد لمقوم الشرف أو الثروة أو السلطة أو الجاه، وتفتقر لموارد قارة، وتسهم في أداء حصة الأسد من التكاليف والمجالي، سواها بالكاد يستطيع تأمين الحد الأدنى من احتياجاته الضرورية. ويدخل في هذه الزمرة أرباب الحنط يهودا ومسلمين من أهل الحرف والتجار

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

الصغار، وأصحاب الدكاكين، والعمال، وقد أورد الباحث في هذا الصدد جدولاً بقائمة أصناف الحنط السائدة بالمدينة. وعليه، يمكن قصر عامة سلا إبان الحقبة المدروسة على الفئات التالية:

✓ الذميون اليهود

استوطن اليهود سلا منذ الفترة الرومانية، وكان لهم حضور ثقافي واقتصادي، اشتهروا بمزاولة التجارة والحرف المختلفة، وفي عصر الانفتاح على عهد المولى عبد الرحمان، أصبحوا من كبار التجار المستقرين في المراسي، حيث اطلعوا في البداية بأدوار اعتنت بتقييم السلع والوساطة والسمسة بين التجار المسلمين والأوروبيين، والمخالطة في الفلاحة والكسب، ليصبحوا بعد ذلك وكلاء وشركاء وتراجع ونواب قنصلين للدول الممثلة بالرباط وغيرها. وعلى الرغم من انصهارهم في النسيج الاقتصادي العام للمدينة، إلا أنهم احتفظوا في المجالين الديني والإداري بدرجة كبيرة من الاستقلالية¹⁹.

والجدير بالذكر أن حالة المادية لليهود لم تكن تختلف عن أحياءهم المسلمين الذين تعايشوا معهم في ود لم يسلم من صدام، ففي سنة 1807 تم ترحيلهم إلى حي خاص بهم، بحجة عفونتهم ومتاجرتهم في المحرمات، واجترائهم على رفع عقيرتهم في الصلاة دون مراعاة لجيرانهم المسلمين، عدا إفشائهم للشائعات الكاذبة للاستفادة منها تجارياً، والخوف من الاستخبار ضد الجهود المستنفرة لمواجهة غزو نابليون بونابرت المحتمل للإيالة الشريفة، بعدما وجدت فيهم أوروبا موطئ قدم لها في سلا "المدينة المقفلة"، ونصبت نفسها مدافعة عن طائفتهم بها. بيد أن عزل اليهود في ملاح خاص، أكسبهم استقلالية أكبر وحرية في ممارسة تجارتهم وشعائهم، غير أن العادة ظلت تمنع اليهود من شراء الممتلكات داخل المدينة، ما عدا داخل الملاح، في الوقت التي واثرت فيه القوى الدينية المحافظة ممارسة الضغوط على المخزن، ابتغاء حصر اليهود في إطار الذمة²⁰.

✓ الرقيق

عدّ "إرنست كيلنر" الرقيق أهم مؤسسة أسست عليها البشرية حضارتها²¹، مؤسسة تغذت في سلا على الأسرى المسيحيين والمختطفين من داخل الإيالة وخارجها، فبمحاذاة سوق "لغزل" كان يعقد عقب كل صلاة عصر سوقاً للمتاجرة بالعبيد، ويعاقب كل نخاس ضبط متلبساً وهو يسوق بضاعته سرّاً أو خارج مجالها المعلوم.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

ومن أشهر الوظائف التي انبرت لها هذه الشريحة، خدمة العائلات السلوية والعناية بشؤونها الخاصة والعامة، فالعروس السلوية الميسورة عادة ما كان من هداياها أمة تحسن تدبير شؤون البيت، وهذا ما جعل الجارية الأكثر ابتاعا في الأسواق السلوية هي تلك المتقنة لعمل خاص أو مجموعة من الأعمال المتميزة، كالإمام بأمور التطبيب والتوليد أو أمور تربية الأطفال والتدبير المنزلي، أو تلك التي شارفت على البلوغ بغاية الاستمتاع. وكان للعبد الحق في مفارقة سيده وطلب بيعه، فإن شئاً معاشرته فرّ مستجيرا بضريح ابن عاشر أو بأحد حرم المدينة، وإن أصر على الشقاق نُزل على طلبه وإن اعتذر وتودد أصحابه²².

إن استعباد أبناء المسلمين أو الذين جرى بينهم وبين المسلمين سلم، جرّمه لفيف من علماء سلا وحرّموا تجارتهم، حيث عدّ الفقيه والمؤرخ أحمد الناصري الفعل سلوكا عاريا من الدين والأخلاق، بحجة أن السبي لا يحق إلا في حرب شجرت بين المسلمين وأصحاب الملل الأخرى، لا بالسرقة والسطو على عيال المسلمين كما هو شائع²³.

ولم يكن السلويون يجدون في الزواج من إمائهم مثلبة تخدش هيبتهم في نظر الناس، فالعديد من الأشراف و التجار والأمناء عقدوا على جواريتهم وأصبحن ملازمات لهم في حلهم وترحالهم، فأكثر الجاريات السلويات كن على قدر من التعليم والدراية، بسبب حرص السلويين على تعليم إمائهم القراءة والكتابة وأساليب اللياقة وفنون الطبخ والحرف المنزلية، لدرجة أن دار المخزن بمكناس على عهد المولى إسماعيل، كانت توكل لعائلات سلوية مثل عائلة ماعينيو مهمة الإشراف على تعليم إيماء الدار بعض الحرف وأشكال التدبير المنزلي. هذا الحرص وازاه دَيَدُنُ التزمته ثلّة من أعيان المدينة وهو الإيضاء بعق عبيدهم لما يطرق الموت باهم أو يطبق أنفاسهم، وتمتعهم قبل تسريحهم بقدر مالي محدد للاستعانة به على متطلبات الحياة. هذا التقليد وغيره الذي ظل متوارثا منذ بدء الجهاد البحري أنجب رياسا وعمالا وطبجية مثلوا في بعض الفترات رأس النخبة وزعماءها الأنجاد²⁴.

ثالثا- الوضع السياسي السلوي: بين التحديات الداخلية والضعف الخارجي

راهن المولى عبد الرحمان بن هشام على إعادة إحياء نشاط الجهاد البحري الذي أحمده أنفاسه سلفه المولى سليمان سنة 1815م، متوسما من هذا الإجراء حل أزمة بيت المال والنهوض بموارده على حد تأكيد الباحث، وتدرجيا عادت القرصنة السلوية إلى السواحل الإقليمية، وعلى الرغم من حالتها

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

المتقدمة مقارنة بغريماتها الأوروبية، فقد تمكنت من إيقاف بعضها وإحالتها على الأسر، بذريعة افتقادها لما يخول لها الدروج في المياه الإقليمية، بيد أن واقعة قبلة العرائش من قبل الأسطول النمساوي سنة 1829م، وما أعقبها من صدمة سقوط الجزائر تحت ربة الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، جعل السلطان يستعيز عن ورقة القرصنة بخطة تعزيز الدفاعات البحرية وعلى رأسها دفاعات الثغر السلوي، معتمدا في هذا الخيار على تسليح الثغور وتجهيزها وإصلاح خطوطها، وتكوين أطر جديدة تخوض المعامع وتكون في مستوى التحديات²⁵، ويبدو أن السلطان آنس إثر هذه التدابير وغيرها القدرة على مواجهة القوى الأوروبية، بعد أن وجّه خطابا شديد اللهجة أكد فيه امتلاكه من القوة ما يردع به أي عدوان أجنبي، ثقة حملت السلطان على تجاهل احتجاجات القناصلة الأوروبيين على تجديده نشاط القرصنة، وعلى التهديدات بقصف مرسى من مراسي الإيالة إن ظل السلطان مصرا على دعم ثورة الأمير عبد القادر الجزائري، بيد أن محك معركة إيسلي سنة 1844 واستباحة ثغر الصويرة وتركه نهشا للنهب بعد قصفه، كشف عن الحجم الحقيقي لقوة السلطان، الأمر الذي اضطره إلى الجلوس على طاولة المفاوضات الفرنسية بنفسية مهزومة، وضع أربى القناعة بضرورة خلق جيش نظامي على الطراز الأوروبي، وحصون دفاعية أكثر جدّة ومنعة²⁶، وقد حظيت مدينة سلا بكفّل مهم من هذا الاهتمام، تأجراً فعليا على مستوى تأهيل إمكاناتها الدفاعية، تحت إشراف القائد المضرس بوعمر و فنيش الذي عينه السلطان عاملا على سلا، لإنفاذ هذه المهمة، كإجراء استباقي لإحباط أي غزو أوروبي محتمل²⁷.

1- سلا في مهب التحديات الخارجية

1-1 سلا في مصد العدوان الفرنسي

أعرب الباحث أن "سلا استمدت هويتها الجماعية من التحام ساكنتها القوي والدائم ضد عدو "نصراني" محتمل قد يهاجم المدينة من جهة البحر، هاجس جعل المجتمع السلوي حذرا ومتأهبا عسكريا لكل الطوارئ"²⁸. فبعد أن تعرضت سلا سنة 1844م لرشق خاطف من قبل الأسطول الفرنسي وهو في طريقه لقصف الصويرة، استقر في يقين السلويين أن الواقعة مع فرنسا لا تعدو مسألة

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

وقت، وعلى هذا اليقين أعدوا ما استطاعوا استعدادا لهذا اليوم، تحت قيادة العامل الجديد بوعمر و فنيش، الذي كان يشرف بنفسه على عمليات تأهيل الخطوط الدفاعية للمدينة وتنظيم صفوفها²⁹.

وقد وجدت فرنسا في حادثة تكسر مركبها التجاري المحمل بِرُكائب القمح على أحجار الضفة السلوية، إثر شطّه عن الشط الرباطي، الفرصة المواتية لاستعادة التوازن الجيو إستراتيجي الذي كان راجحا حينذاك لصالح الحضور الانجليزي، ودون تردد اتمت فرنسا أوزاعا من السلويين بنهب وسفّة المركب، وطالبت السلويين بتعويض مالي قدره 6795 فرنكا، وأمام رفض الأهالي للإدانة وللتعويضات التي فرضها القنصل الفرنسي "دوزان" والطعن في تبريراتها، نزلت فرنسا إلى نصب راجماتها البحرية يوم الأربعاء 26 نونبر سنة 1851، وشرعت في قصف المدينة من الضحى حتى اقترب العشاء، معركة وضعت أوزارها على خسائر فادحة طالت الجانبين، إن على مستوى الأرواح أو العتاد أو البنيان، وقد بدا للباحث أن اختيار سلاهدفا للعدوان الفرنسي، جاء على أساس خلوها من المستوطنين الأجانب، باعتبارها مدينة مسكرة في وجه الأوروبي ومصلحه، وفي سياق الضغط على المخزن عسكريا للترول على إرادته الإستراتيجية، والفوز بِقَصَب الدولة الأكثر حضورا في الإيالة الشريفة.

1-2 الاستيطان والحماية القنصلية

أطلّ نظام الحماية القنصلية على المغرب سنة 1767 ثم كرسته معاهدة 1856، وهو اتفاق قانوني غير متكافئ، يتعلق بموجه أحد رعايا السلطان بإحدى الدول الأجنبية، قصد التمتع بالحصانات والتسهيلات التي حولتها الإيالة الشريفة لمواطني الدول الغربية، صيغة وجدت فيها هباشات من الرعايا، ملاذا يَعْصمها من قهر القواد، وجور الحكام، وتصفية الحسابات، ومصادرة الأملاك، وأداة لتوسيع نطاق الامتيازات، في الوقت الذي تشوّف فيه الأجانب حسان طروادة الذي من شأنه تذليل القبض على مفاصل الإيالة والتحكم في دواليبها، وتوجيهها صوب المسار الذي يعزّز حضورها³⁰ وانضباطا مع هذا الإجراء الذي يمكن وسمه بالتسرب الناعم، فَقَدَ المخزن سلطته على خباشات من رعاياه، وعلى ريع معتبر من الموارد المالية، كان أغلبه يستخلص من مداخل الضرائب وإيراد المبادلات التجارية مع الخارج. شطط وضغوطات صارت تناجز السلطان على الشرعية والسيادة، وتحفر عميقا في هوة التناقضات والتقاطبات داخل المجتمع.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

في يَمَّ هذه التجاذبات، لبث السلويون يأبون استيطان المسيحي آيا كان جنسه، ومهما كان عذره، بيد أن هذا الوصد المحكم بدأ رتاجه ينفرج تحت طائلة الحماية الأجنبية، التي استطاعت في البداية اجتذاب سبعة سلويين وتسخيرهم لخدمتها، ورويدا رويدا بدأت الدائرة تتسع حلقتها لتعم بعض أشرف سلا، حماية جرّت على ذويها قطيعة الأهالي ومخافاتهم، بل سوّلت لبعض الوجوه من أعوان القاضي علي بن عواد التنكيل بهم. ولعل مشهد محمد حصار الذي أورده الباحث ونفر من أهل سلا مائلون عليه ضربا وخطّما، جزاء إصراره على فتح مكتب للبريد الفرنسي داخل سلا³¹، نموذج في هذا السياق، ومن صروف القدر أن القاضي علي بن عواد ألد أعداء الحميين جوّز حين احتلت فرنسا المدينة سنة 1911 الاستعاذة بالحماية الألمانية، فبدّد بذلك الحرج عن رهط من أعيان المدينة الذين طفقوا في اعتناقها أفواجا.

إن اندحار جبهة القبائل أمام بأس العسكرية الفرنسية المتطورة، وما خلّف ذلك من فوضى وانفلات أمني، وما أتبعه من احتلال، وضع قوى المعارضة السلوية حسب تأويل الباحث أمام خيارين لا ثالث لهما، إما الاستجارة بالحماية القنصلية الألمانية أو الانجليزية بعد تسويقها من قبل فقهاء، أو الهجرة صوب المشرق، وهذا ما يحيل على الاستنتاج أن احتلال المدينة كان سببا في ارتفاع سواد الحميين السلويين، بل سببا في افتضاض قفل المدينة المحروز، واستباحتها للاستيطان الأوروبي الذي بلغ سنة 1912 ما قدره 235 مستوطنا أوروبيا³²، وهي السنة ذاتها التي خضعت فيها البلاد للحمايتين الفرنسية والإسبانية، فانتقلت بذلك سلا وعموم ربوع الإيالة من شاكلة عقد حماية محدود دانت له العدائد اختيارا، إلى عقد ممدود أُجبرت بنوده على السواد إجبارا.

1-3 سلا في محك الاحتلال: التكيف الصعب

عقب اندحار القبائل السلوية وهي تحاول إيقاف زحف القوات الفرنسية على المنطقة، وبعد أن نجحت هذه القوات في عزل المدينة عن محيطها القروي سنة 1911، أمّت وجهها شطر العدوتين لاحتلالهما، غزو لم يخل من هواجس ردود الأفعال، وعواقبه على الأوروبيين المستقرين بالمنطقة، وعلى تجارهم البحرية المرتبطة بمرسى العدوتين، بيد أن سياسية استعراض القوة والتلويح باستخدامها في حالة المواجهة، شلّ قرار المقاومة، وأجبر ساكنة العدوتين على كظم انفعالهما أثناء الاحتلال³³.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

وأمام الغياب التام لسلطة المخزن المغلوب على أمره، استنجد أهل الحل والعقد بالقنصل الألماني "نوردوف" بعدما تعودوا نصرته حين تُنيخ يد العسف الفرنسية بكلكلها على المدينة، ويبدو أن اتفاق التسوية المبرم في 4 من نونبر سنة 1911 والذي سمحت ألمانيا بموجبه لفرنسا باحتلال الإيالة الشريفة مقابل التنازل لها عن مستعمرات بإفريقيا الاستوائية، جعل القنصل الألماني يلع لسانه ويصم آذانه عن دعوات الاستنصار، وعن الغزو الجاري في المدينة³⁴.

واقع شكل وقَّعه صدمة نفسية أليمة وأثر على معنويات السلويين، فمنهم - كما أشار الباحث - من اختل عقله ومنهم من لزم بيته إلا لأداء صلاة الجمعة، ومنهم من أزمع الرحيل إلى المشرق، ومنهم من استقر بعدوة الرباط خوفا من قصف لا يبقى ولا يذر³⁵.

2- سلا على وقع التحديات الداخلية

1-1 سلا وباديتها: علاقة ائتلاف لا تخلو من خلاف

شكلت بادية سلا المحرك الرئيس لعجلة اقتصاد المدينة، حيث لبثت نخبها الاقتصادية والسياسية مرتبطة بقوة بامتدادها البدوي فلاحيا وتجاريا، هذه العلاقة لا تعدو صورة مصغرة لنمط يعكس تبعية المدينة المغربية للبادية، وعمق تداخل المجالين إبان مرحلة ما قبل الحماية، فإذا كانت سلا أمّنت لباديتها احتياجات ذات طبيعة صناعية، وعصمت اللائذين بها من عسف القياد، والفارين من صراع قبائل اتحادية بني حسن وذغائن العشائر والأفراد، فإن البادية في المقابل مثّلت لحاضرتها حديقته الأمامية ومتنفسها التجاري وسلة قوتها وعمقها الاستراتيجي، فكما هو معلوم أن طبيعة التربة الرملية المبتوثة على حواف المدينة، لم تكن قادرة إلا على توفير التّزر من القمح. وهذا ما جعل سلا تابعة لباديتها غذائيا.

وعلى صعيد آخر، شكل البعد المجالي لبادية سلا عمقا إستراتيجيا في الصراع والمناورة، وهو ما شجعها على نقل المواجهة ضد القوات الفرنسية إلى خارج المدينة، ودعم قبائلها البدوية ماديا ومعنويا بشكل غير مباشر، خوفا من تعرض المدينة لهلاك عاجل³⁶، خيار طكتيكي وجد في حرب العصابات القائمة على المباغثة ونصب الكمائن وقطع الطريق وضرب ذيل الأرتال وأطرافها ونهب قوافل تموينها، أسلوبا يتناسب وإمكاناتها المحدودة في التعامل مع العدو، خاصة حين نجح هذا

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

الأسلوب في تكبيد الغازي خسائر فادحة، أشهرها في موقعة "غابة بوزيم" التي دارت رحاها بأحواز سلا في 24 من ماي سنة 1911³⁷.

هذه الصور المفعمة بمشاهد التآزر والتعاضد بين سلا وباديتهما، لم تخل خلفيتها من صور تنوء بمشاهد المشاحنة والبغضاء، المحكومة سياقاتها بدافع السلطة والثروة والحظوة، أو بداعي الفاقة والخصاصة، أو بباعث التمرد على تكاليف المخزن المثقلة، وهو ما كان يستدعي استنفار حركة أو تجريدة مخزنية في بعض الأحيان لإعادة القبائل الآبقة إلى جادة الطاعة والانضباط، واسترداد زمام السيطرة السلوية على باديتهما³⁸. أما في حالة الإخفاق في تأويلها عسكريا، يلجأ المخزن إلى معاقبتها بأسلوب الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي، بتحريم المتاجرة معها، والدُّلوف إلى أسواقها، واعتقال كل من ضبط من عصبتها³⁹.

وفي هذا الصدد أكد الباحث أنه كلما اجتاحت المنطقة داهية طبيعية (الجفاف أو وباء) أو أشيع خبر وفاة السلطان أو انهزامه في مواجهة داخلية، إلا سلكت قبائل سلوية سلوك الجرابيين، الأمر الذي كان يفرض على السلويين الاعتصام داخل أسوار المدينة، والحسرة تأكلهم على انحباس تجارتهم، واندراس زراعتهم، وانحصار سبل استرزاقهم. ففي سنة 1866 مثلا وجدت قبيلة عامر وحليفاتها زمور في إشاعة وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان، فرصة لانتهاك مزارع سلا والتسلط على مداخلها ومخارجها، ولولا أمر السلطان الذي أسعف المدينة بأقوات من الجديدة عبر منفذها البحري، لَنَابَتْهَا مخمصة جسيمة، خاصة وأن الحدث توازى مع رَزِيَّة الجراد الذي لم يبق على صعيدها أخضرا ولا يابسا. وفي مارس سنة 1903 استغل الزموريون اندحار جند المخزن أمام الجيلاي الزرهوني (بوحمارة) وأغاروا على سلا ونهبوا منها 180 من البقر، وحين عاودوا الكرة في اليوم الموالي تصدى لهم أهل سلا وحالوا دون بغيهم. وأما يوم اندحارهم أمام القوات الفرنسية فقد انقلبوا نهباً وسلباً على كل من طالته أياديهم⁴⁰.

وتبقى معضلة الماء التي طغت على مشهد الصدمات البينية، من أعقد الخلافات التي كان فتيلها يتوقد، كلما رزئت قبيلة عامر بجذب، أو استشعرت ضعفا مخزنيا وهوانه على الجاهمة. فمعلوم أن شبكة جلب الماء من واد الفورات الذي يبعد عن سلا بحوالي 14 كلمتر، قُيِّض لها المرور على حدود هذه القبيلة، ما جعل سلا رهينة لظروف عامر ومزاجها العام، فبمجرد ما كانت تَقْلِب ظهر مِجَنِّها

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

للمدينة، إلا وتحقيقها بمحنة شح الماء، فلم تكن عامر تتورع عن حصر الماء الممدود للمدينة، وضمن به أو الإنقاص من منسوبه المعتاد وتعكير صفوه، تصرف كان يشل كل المرافق، ويحيل وضع الساكنة إلى حال دائم، إلى أن يتدخل المخزن ويعيد الأمور إلى نصابها السابق⁴¹.

2-1 سلا والرباط: الإخوة الأعداء

تعود جذور الصراع بين العدوتين، إلى زمن المعارك التي شنها المجاهد العياشي ضد الرباطيين، بعدما عارضوا الدخول في سلطته واستقروا عليه بالإسبان، صراع ظل لظاه متواريا تحت هشيم التوافقات، لا تشرئب ألسنته إلا حين تتضارب المصالح ويطنغى منطق إثبات الذات وفرض الإرادات، وتروغ إحداها إلى الاحتكار والاستبداد بالمناصب الاعتبارية والمكاسب التجارية.

لكن تظل من أقدم المواجهات التي شجرت بين العدوتين خلال الفترة المدروسة هي تلك التي كادت أن تتحول إلى حرب أهلية، جراء اتهام ابن سعيد عامل سلا، شروؤه سويسري عامل الرباط، بالارتشاء جزاء تركه منفعة المكوس بالرباط سارية، رغم إلغائها من لدن السلطان، اتهام قابله عامل الرباط بالخطر على كل سلوي الدروج في عدوة الرباط، وتحذيرهم من مغبة العشمَر والتجاهل، فما كان من السلويين إلا أن أعلنوا الحرب على الرباط التي كاد فتيلها أن يلبد سماء العيش بين الجارتين، لولا أن تدخل العامل ابن سعيد و أَلْجَم نَزَقَتْهُم، وقد ظلت مصانع الحداد ثاوية بينهم حتى رَأب صدعهم السلطان الحسن الأول في 20 نونبر 1873، لكن دون أن يستطيع تذويب الحزازات التي واطرت على إضمارها النفوس⁴²، حزازات وحساسيات عملت على تراكمها اختلاف الظروف والأدوار التي باتت تضطلع بها كل حاضرة على حدة، ففي الوقت التي كانت تستفرد فيه الرباط بعموم الأنشطة التي يحتضنها مرسى أبي رقرق، وتستفيد من تدفق المنتجات الأوروبية الرخيصة، كانت سلا ترنو بعين الحسرة على الحاجز البحري الطبيعي الحائل بينها وبين مورد رزق جزيل، ودور ثقل تستحق أن تؤديه، إكراه أسهم بشكل أو بآخر في تحويلها إلى مدينة داخلية ذات وظيفة أمنية تُعنى بحراسة الطريق الساحلية الرابطة بين سلا وقصبة المهديّة، إلى جانب إشرافها على مراقبة القبائل المجاورة، والحرص على انضباطها لجادة الطاعة والانصياع لسلطة المخزن، لتحال مع اتساع غُوط التناقضات إلى مجرّد ملحقة بالدائرة الحضرية للرباط العاصمة بعيد الحماية⁴³، مآل تشوف علي زنيير حصوله في المراسلات التي تبادلها مع العامل الصيحي، حيث حظّه في طيّها على توسيع نفوذ المدينة

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

والسيطرة على قصبة المهديّة كتدبير إستراتيجي من شأنه اتقاء الهيمنة الرباطية وتعزيز استقلالية سلا الحاضرة⁴⁴.

3-1 سلا في معترك صراع الأخوين: من البيعة المفروضة إلى البيعة المشروطة

بعد ثورة المولى عبد الحفيظ على أخيه السلطان المولى عبد العزيز، بحجة موالاته للكافرين وإطلاق يديهم في البلاد، ونبد شروط السنة والكتاب، وفساد مصالح العباد، ظهر بسلا ثلة من أعيان المدينة أعلنوا مناصرتهم جهارا للأمير الثائر باسم الجهاد، فهذا العالم أبو بكر الشنتوفي القارض لقصيدة في مدح المولى عبد الحفيظ على رؤوس الأشهاد، وهذا شرّوه أبو بكر بن محمد التطواني المعرّض بالمخزن العزيري بين الجموع والأفراد، وكلاهما من ريعان المشايخين للمولى عبد الحفيظ، اللذين تعرضا للسجن والتتريك ليكونا عبرة ورادعا⁴⁵، بيد أن القرار الذي أتماه السلطان إلى مسامع النخبة السلوية التي اجتمعت به في قصبة المهديّة، والقاضي بنيته الجنوح إلى مسالمة فرنسا والدار البيضاء لازالت ترزح تحت وطأة احتلالها⁴⁶، دفع بالكثير من أعيان المدينة إلى الانضواء تحت اللواء الحفيظي في السرّ والعلن، رغم التنكيل الذي لاقاه كل من ثبتت مبايعته للأمير الثائر.

تنكيل لم يثن السلويين عن الدخول في الدعوة الحفيظية أفواجا، جرّاء ما ظلت تقترفه يد المحلة العزيرية من جرائم النهب والختطف والاعتصاب داخل المدينة طوال المدّة التي استقرت بالعدوتين، وما زاد الحنق وسعّره في نفوس الأهالي، وقوف السلطان بلا حول ولا قوة أمام التدخل الأمني الفرنسي المتكررة بسلا، في الوقت الذي كان يحشد بأسه ويصرف جهده ضد القبائل التي قلبت له ظهر المجن، بعد أن خفرت بيعته، وأجابت صنوه، هذا الحنق الشعبي الذي كان يكبر ككرة ثلج حطها سيل من عل، جعل المخزن العزيري لا يأمن على ظهره في قابل حربه، فاهتدى إلى ارتهان عشرين فردا من أعيان المدينة، ككفالة تضمن له إذعان أهل المدينة وتقيدهم بالطاعة⁴⁷.

ولما التقى الجمعان لم يمر وقت طويل حتى حطّت المعركة إصْرَها على أنفلال المحلة العزيرية ودمار مجموعها، نصر مهد الطريق أمام المولى عبد الحفيظ للجلوس على العرش، واضطر معه السلطان المعزول إلى طلب الحماية القنصلية الفرنسية درء للانتقام. وأما السلويون فقد استقبلوا الخبر بتحرير عقد البيعة للسلطان المنصور، بأسلوب الشاعر والأديب الحاج الطيب عواد صبيحة الثلاثاء 25 غشت 1908، وكلفوا رقاص المدينة بإيصاله على جناح السرعة إلى قصر السلطان بفاس، وبعد حين انعقد وفد

تاريخ الارسال: 2021/01/08

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ النشر: 2021/01/21

رسمي بزعامة العامل الصبيحي والقاضي علي عواد لتقديم التهاني بين يدي السلطان الجديد بحضرته سنة 1908⁴⁸.

خاتمة :

حاول الباحث مقارنة فترة مفصلية من فترات تاريخ سلا المعاصر بخلفية وطنية، توخت استقرارا مقطوع القرن 19 وبداية القرن العشرين في مختلف تظاهراته ورهاناته وتعبيره من خلال وثائق مخزنية وقرائن جديدة، نشدت الإسهام في بناء تاريخ محلي خالص من المؤثرات الأيديولوجية، ونقد الادعاءات الأوروبية التي وصمت السلويين بالنهب والتعصب، مرافعة منطقية أو هكذا تبدو، كشفت في معرضها أحداثا مستطرفة ظلت في عداد المغمور، حتى بعثها الباحث من عتيرها وملا بها الفراغ الذي ما انفك يعتري الكثير من محطات الفترة المدروسة، مشكلة بذلك وجهة نظر الأنا إزاء وجهة نظر الكولونيالي في بعض القضايا التي همت المدينة إبان الفترة المدروسة. ومستندا هاما لفهم أنماط الثابت ومحفزات المتغير، والأنساق المتداخلة في ضبط العلاقات الاجتماعية السائدة داخل المدينة: إن على مستوى الإنتاج والتبادل، أو على مستوى العلاقة بالسلطة والمؤسسة الدينية والحمايات القنصلية.

ويبدو أن الباحث جعل من التاريخ السياسي للمدينة نقطة ارتكاز لفهم طبيعة التمفصلات المشكلة لبنيتها الاجتماعية، وعلاقات التكامل والتضاد المتفاعلة داخلها: (الأنا والآخر، المعرفة والسلطة، المادي والرمزي، المركز والهامش...) معتبرا في هذا المعرض أن الأبعاد الجغرافية والاقتصادية والسياسية والروحية المتفاعلة مع بعضها تعدو محمدا في تشكيل النسق الثقافي الجمعي. وموثر رئيسا في جزئيات المعيش الجمعي وتقلبات أحوال المجتمع السلوي وانفعالاته العاطفية.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار هذا الكتاب المتميز بمناولته، الغني بمعطياته الطارفة والمتنوعة، أرضية ملائمة لإبرام دراسات مونوغرافية جديدة عن المدينة، بمقاربة تركيبية تستثمر القرائن في بناء الأكسوميات ومساءلة البداهيات من داخل إشكاليات تتداخل فيها الموضوعات بالأسئلة، هذا على اعتبار أن البناء التاريخي تتحسن جودته كلما وُجدت دراسات مونوغرافية متراكمة، منفتحة على مختلف مناهج العلوم الإنسانية، زاخرة بالوثائق الجديدة والمصادر العديدة والمتنوعة الموثقة.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

الهوامش :

¹ إدريس أبو إدريس، التاريخ في عالم متغير، التاريخ الجهوي المغربي: أهميته وآفاقه في التنمية، مطبعة المتقي برينتر، المحمدية، 2003، ص.20

² عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، الألفاظ والمذاهب، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص.92.

³ بول ريكور، الزمان والسرد الحكمة والسرد التاريخي، الجزء الأول، ترجمة سعيد الغانمي وآخرون، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2006 ص.101.

⁴ جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات ضفاف، دار الامان، الرباط، 2014، ص. 62.

⁵ قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص. 75 .

⁶ Louis Brunot, La mer dans les traditions et les industries indigènes de Rabat-Salé, Paris, 1921, p : 97

⁷ عز المغرب معينو، سلا "المدينة المقلدة" الانفتاح الحذر على الغرب من القصف الى الاحتلال 1912-1951، مطابع الرباط نت، الرباط، 1917، ص.ص. 72-74.

⁸ Salamon Georges, (1905), Notes sur Salé, in Archives Marocaines, t3, volume 4 _____ publication de la Mission scientifique du Maroc, p.75
⁹ الطيب بياض، المخزن والضرية والاستعمار: ضرية الترتيب 1880-1915، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص. 32.

¹⁰ De Hemso Graberg, Le Maroc. édition La Port, Rabat, 2002, p.58.

¹¹ [Nicolas Michel](#), Une économie de subsistances: le Maroc précolonial, Volume 2 [Publications de l'Institut Français d'Archéologie Orientale](#) le caire, 1997, pp173-174.

¹² Brown Kenneth (2001), Les gens de Salé: traditions et changements de 1830 à 1930, Traducteur [Podevin Fernand](#), édition Eddif, Casablanca, 2001, p.121.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

¹³ عز المغرب معنينو، سلا...، مرجع سابق، ص ص. 160-163.¹⁴ المرجع نفسه، ص ص. 46-47.¹⁵ المرجع نفسه، ص ص. 109-112.¹⁶ Roger Le Tourneau, La vie quotidienne à Fès en 1900, Paris. 1965, p.95¹⁷ Bellaire Michaux, Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région, t2, édition Frontispice, Casablanca, sans date, p51.¹⁸ Ernest Gellner, *Saints of the Atlas*. In: *Annales. Economies, sociétés, civilisations*. 28^e année, N. 5, 1973. p. 1171¹⁹ عز المغرب معنينو، سلا...، مرجع سابق، ص. 189.²⁰ المرجع نفسه، ص ص. 56-60.²¹ Ernest Gellner, *Saints...*, op.cit, p. 1170²² عز المغرب معنينو، سلا...، مرجع سابق، ص. 189.²³ المرجع نفسه.²⁴ المرجع نفسه.²⁵ المرجع نفسه، ص ص. 99-100.²⁶ مصطفى الشاوي، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، 1830-1912، الجزء الأول، المطبعة والوراقة المغربية، الطبعة الأولى، 2008، ص ص. 89-90.²⁷ عز المغرب معنينو، "سلا..."، مرجع سابق، ص 75.²⁸ المرجع نفسه، ص 71.²⁹ المرجع نفسه، ص. 99.³⁰ محمد كنيب، المحميون، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، مكتبة باب أنفا، الدار البيضاء، 2011، ص. 11.³¹ عز المغرب، "سلا..."، مرجع سابق، ص ص. 215-227.³² المرجع نفسه، ص. 259.³³ المرجع نفسه، ص. 283.³⁴ المرجع نفسه، ص. 275.³⁵ المرجع نفسه، ص. 297.

تاريخ النشر 2021/01/21

تاريخ القبول: 2021/01/14

تاريخ الارسال: 2021/01/08

- ³⁶ المرجع نفسه، ص. 259.
- ³⁷ المرجع نفسه، ص. 251.
- ³⁸ المرجع نفسه، ص. 256.
- ³⁹ المرجع نفسه، ص. 178-181.
- ⁴⁰ المرجع نفسه، ص. 265.
- ⁴¹ المرجع نفسه، ص. 105-119.
- ⁴² المرجع نفسه، ص. 164-170.
- ⁴³ المرجع نفسه، ص. 148-151.
- ⁴⁴ المرجع نفسه، ص. 219-220.
- ⁴⁵ المرجع نفسه، ص. 221-248.
- ⁴⁶ المرجع نفسه، ص. 243-247.
- ⁴⁷ المرجع نفسه، ص. 256.
- ⁴⁸ المرجع نفسه، ص. 258.

مراجع تكميلية

المراجع العربية

أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: إنولتـان، 1850 – 1912، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1983.

إدريس أبو إدريس، التاريخ في عالم متغير، التاريخ الجهوي المغربي: أهميته وآفاقه في التنمية، مطبعة المتقي برينتر، الحمديّة، 2003.

بول ريكور، الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي، الجزء الأول، ترجمة سعيد الغانمي وآخرون، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2006.

جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات ضفاف، دار الامان، الرباط، 2014.

قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

الطيب بياض، المخزن والضرية والاستعمار: ضريبة الترتيب 1880-1915، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011.

محمد كنيب، المحميون، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، مكتبة باب أنفا، الدار البيضاء، 2011.

محمد حبيدة، كتابة التاريخ قراءات وتأويلات، الرباط، أبي رقرق، 2013.

محمد حبيدة، بؤس التاريخ: مراجعات ومقاربات، الرباط، دار الأمان، 2015.

عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.

عبد الأحد السبتي، التاريخ والذاكرة أوراش في تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012.

المراجع الأجنبية

Bellaire (Michaux) , Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région, t2, Ed Frontis pice, Casablanca, sans date.

Brunot(Louis), La mer dans les traditions et les industries indigènes de Rabat-Salé, Paris, 1921.

Ernest Gellner, *Saints of the Atlas*. In: *Annales. Economies, sociétés, civilisations*. 28^e année, N. 5, 1973.

Graberg De Hemso . Le Maroc. Ed La Porte. Rabat.2002.

Kenneth Brown, Les gens de Salé: traditions et changements de 1830 à 1930, Traducteur [Podevin Fernand](#) , ed Eddif, Casablanca, 2001.

Michel [Nicolas](#) , Une économie de subsistances: le Maroc précolonial, Volume 2

[Publications de l'Institut Français d'Archéologie Orientale](#) le caire 1997.

Roger.Le Tourneau, La vie quotidienne à Fès en 1900, Paris, 1965.

Salamon Georges, Notes sur Salé, in Archives Marocaines, t3, volume 4 _ publication de la Mission scientifique du Maroc, 1905.